

مركز المنبر

للدراستات والتنمية المستدامة

ALMANBAR CENTER FOR STUDIES
AND SUSTAINABLE DEVELOPMENT



بعد سقوط نظام الأسد..

تداعيات التطرف العابر للحدود في سوريا

الكاتب: محمد رضا بابايي

المصدر: دبلوماسي إيراني، نشر بتاريخ 4 آذار، 2025



عن المركز

مركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة، مركز مستقل، مقره الرئيس في بغداد. رؤيته الرئيسة تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام – فضلاً عن قضايا أخرى – ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقل، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا تهّم الشأن السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي.

لا تعبر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز وانما تعبر عن رأي كاتبها

حقوق النشر محفوظة لمركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة

<https://www.almanbar.org>

info@almanbar.org

بعد سقوط نظام الأسد..

تداعيات التطرف العابر للحدود في سوريا

الكاتب: محمد رضا بابايي

المصدر: دبلوماسي إيراني، نشر بتاريخ 4 آذار، 2025¹.

خلال الاضطرابات المعروفة بإسم "الربيع العربي"، خضع النظام الإقليمي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لتحوّل سياسي وتطوّر جذري. لم تكن سوريا إستثناءً من تلك التطورات، حيث اندلعت الاحتجاجات الشعبية في 15 مارس/آذار 2011 بسبب الفساد السياسي ومشاكل المعيشة، وفي غضون أربعة أشهر تحوّلت الأمور في سوريا إلى حرب أهلية شاملة. حيث أدت الفراغات السياسية والأمنية الناجمة عن هذا الصراع إلى جعل البلاد وجهة رئيسية للهجرة المتطرّفة عبر الحدود، كما أن البيئة السياسية والأمنية الجديدة جعلت من سوريا وجهة جاذبة للمتطرفين الدوليين.

سوريا مركز الجهاد العالمي

بعد أقل من عامين من بدء الحرب الأهلية السورية، فقدت الحكومة السابقة فعلياً معظم مدنها الاستراتيجية ومعابرها الحدودية وحقول النفط والغاز. كانت البيئة الأمنية السائدة في سوريا مشابهة إلى حد كبير لتلك التي كانت سائدة في أفغانستان في ثمانينيات القرن العشرين، إذ وفّرت مساحةً لإعادة إنتاج القراءات السلفية والكلاسيكية للإسلام السياسي والجهادي، والانخراط في الضرورات السياسية الجديدة التي انخرط فيها الجمهور المسلم بطريقة أو بأخرى. وقد استضافت المناطق السورية التي سيطرت عليها المعارضة المسلّحة آلاف المتطرفين من جنسيات مختلفة، الكل كان لديه دوافع متنوعة، كما زعموا، للهجرة إلى

بنيادگرای فرامرزی در سوریه¹

<http://irdiplomacy.ir/fa/news/2031494/%D8%A8%D9%86%DB%8C%D8%A7%D8%AF%DA%AF%D8%B1%D8%A7%DB%8C%DB%8C-%D9%81%D8%B1%D8%A7%D9%85%D8%B1%D8%B2%DB%8C-%D8%AF%D8%B1-D8%B3%D9%88%D8%B1%DB%8C%D9%87>

سوريا. ومن بين الجماعات السلفية المتعدّدة الجنسيات أصبح وجود القوات الأويغورية (من الصين) والشيشانية (من روسيا) قضية مثيرة للقلق بشكل خاص بالنسبة للجهات الفاعلة المتورطة في الحرب الأهلية السورية.

المسلحون الأويغور بين اليوم والأمس

لكي نفهم حال المسلحين الأويغور ودورهم في الحرب السورية، يتعيّن علينا العودة إلى التطورات في أفغانستان في تسعينيات القرن العشرين. لقد أدى سقوط كابول وصعود حركة طالبان في تلك الفترة إلى تحويل أفغانستان إلى أنموذج لتطبيق النظام الديني المتشدّد الذي يسعى إليه المسلحون متعدّدو الجنسيات. ومن ثم، فإن صعود طالبان إلى السلطة في أفغانستان جعل البلاد وجهة جاذبة للمسلحين الأويغور الذين يعيشون في منطقة شينجيانغ في غرب الصين. تأسس الحزب الإسلامي التركستاني عام 1988، وبعد فترة قصيرة من وصول طالبان إلى السلطة، انتقل جميع أعضاء الحزب إلى أفغانستان. أعلن زعماء الحزب أن الهدف الرئيسي هو تحرير إقليم شينجيانغ (تركستان الشرقية) ذي الأغلبية المسلمة من الحكم الصيني.

إن الموقع الجيوسياسي المتميّز الذي تتمتع به أفغانستان جعلها أحد المراكز المهمة لتدريب وتسليح المسلحين الأويغور، ونقطة انطلاق للعديد من العمليات الإرهابية في الصين بين تسعينيات القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين.

بعد الغزو العسكري لقوات التحالف لأفغانستان عام 2001 وسقوط حكومة طالبان، أصبح الوجود الرئيسي لقوات الحزب الإسلامي التركستاني يقتصر على منطقة وزيرستان الحدودية في باكستان. وقد وجّه سقوط حركة طالبان والوجود العسكري لقوات حلف شمال الأطلسي في أفغانستان ضربة قوية للقدرات العسكرية والاقتصادية للمسلحين الأويغور. في تلك المرحلة، خسر الحزب الإسلامي التركستاني معظم قادته الرئيسيين، وانخفض عدد العمليات الإرهابية التي نفذها الحزب على الأراضي الصينية بشكل كبير.

رأى الحزب الإسلامي التركستاني أن الأجواء السائدة في سوريا توفر له فرصة مناسبة لإعادة التنظيم والحصول على موارد مالية جديدة. ومن الطبيعي أن العلاقات الدبلوماسية الجيدة بين سوريا والصين، والدعم السياسي الذي قدمته بكين للحكومة السابقة في دمشق، كانت من العوامل المهمة التي أدت إلى توجه المسلحين الأويغور إلى سوريا.

تعود دلائل التواجد النشط للمقاتلين الأويغور في سوريا إلى منتصف عام 2014. ومن بين الجماعات الجهادية المتعددة الجنسيات، يُعتبر الحزب الإسلامي التركستاني حليفاً رئيسياً لجبهة النصرة (التي أعيدت تسميتها لاحقاً بإسم هيئة تحرير الشام). وقد ساهم تشكيل غرفة عمليات مشتركة "جيش الفتح" في مارس/آذار 2015 في شمال سوريا، والانتصارات البارزة التي حققها هذا التحالف الذي ضم الحزب الإسلامي التركستاني، في تسليط وسائل الإعلام العربية والعالمية الضوء على قضية تواجده المسلحين الأويغور في سوريا.

قصة المد والجزر

يُعد التدخل العسكري الروسي في سوريا نقطة تحول مهمة في تاريخ الحرب الأهلية السورية، حيث أدى الوجود العسكري الروسي وتنظيم العمليات العسكرية ضد المعارضة المسلحة إلى ضمان بقاء حكومة دمشق بشكل فعال لمدة تقارب العقد من الزمن. وقد ساهم الوجود الروسي في تغيير معادلات الحرب بشكل كبير لصالح الحكومة المركزية، بحيث لعبت المعارضة المسلحة دور المدافع وليس المهاجم.

منذ بداية العملية العسكرية الروسية ضد المعارضة السورية وحتى شهر مارس/آذار 2020، عندما شهدنا وقف إطلاق نار شبه دائم في شمال سوريا بين المعارضة ونظام الأسد، تلاشت قضية وجود المقاتلين الأويغور في سوريا تدريجياً، واقتصرت وجودهم على سلسلة من الأنشطة الإعلامية المرتبطة بالذراع الإعلامي للحزب الإسلامي التركستاني.

كانت إزالة الحزب الإسلامي التركستاني من القائمة السوداء للإرهاب في الولايات المتحدة في أواخر عام 2020 بمثابة نقطة تحول غير متوقعة بالنسبة للمسلحين الأويغور المتمركزين في سوريا. فقد كان الحزب مدرجاً على القائمة السوداء للمنظمات الإرهابية في الولايات المتحدة منذ عام 2002، في ظل الحرب الشاملة التي شنتها أميركا على الإرهاب، وفقاً للخطاب الذي صاغه جورج بوش الابن في حقبة ما بعد 11 أيلول/سبتمبر.

ينبغي البحث عن أكثر من سبب لرفع هذه المجموعة من قائمة الإرهاب، وذلك في سياق الخلافات السياسية والصراعات على المصالح بين بكين وواشنطن. خلال رئاسة دونالد ترامب، حاول المسؤولون الأميركيون الضغط على الصين من خلال إثارة "قضية الأويغور" في الدوائر الدولية. وقد كان هذا بمثابة دعم للمقاتلين الأويغور، مما يضمن البقاء السياسي والعسكري لهذه المجموعة.

الحكومة السورية الجديدة وآفاق المسلحين الأويغور في سوريا وقضية الأمن القومي الصيني

أدى سقوط نظام الأسد إلى خلق حساسيات بين المسؤولين الصينيين بشأن التواجد المستقبلي لمسلحي الحزب الإسلامي التركستاني في سوريا. وبالنسبة للحكومة الجديدة في دمشق، يبدو أنها لا تنوي تصعيد التوترات أو اتباع نهج عدائي تجاه حلفاء النظام السابق.

لكن دور تركيا ونفوذها في سوريا، من ناحية أخرى، وقرب معظم مجموعات المعارضة السورية، بما في ذلك الحزب الإسلامي التركستاني، من أنقرة، قد يخلق فرضية في أذهان صنّاع القرار والنخب السياسية الصينية، مفادها أن قضية المهاجرين الأويغور قد تكون ورقة رابحة لأنقرة ضد بكين في المستقبل غير البعيد. ومن ثم، اعتمدت الصين نهجاً يتجه نحو المشاركة ولكن بحذر في التعامل مع الحكومة السورية الجديدة.

الجهاديون الأوراسيون، أعداء روسيا القدامى والجدد

إن الوضع التنظيمي والأيدولوجي للجهاديين القادمين إلى سوريا من الجمهوريات القريبة من روسيا، وخاصة الشيشان، يختلف بعض الشيء عن الجماعات الجهادية الأخرى. يعود أول تواجد عسكري للمقاتلين المهاجرين القوقازيين في سوريا إلى منتصف صيف عام 2012. خلال تلك الفترة، كان جيش المهاجرين من أوائل المجموعات الشيشانية النشطة في سوريا، ولكن لم يمض وقت طويل قبل أن يتم إعادة تسمية المجموعة باسم جيش المهاجرين والأنصار.

لعب المسلحون الشيشان دوراً محورياً ومهماً في الحرب الأهلية السورية. كان لجزء كبير من المقاتلين الشيشان المتواجدين في سوريا تاريخ في المشاركة في الحربين الشيشانية الأولى والثانية. لقد أدى الوضع الأمني السائد في القوقاز إلى جعل الظروف والتضاريس صعبة بالنسبة للمقاتلين في هذه المنطقة، حيث خلقت الأجواء غير المستقرة والفوضوية في سوريا، بيئة مناسبة للمسلحين الشيشان لإعادة تنظيم قوتهم وتنظيمهم العسكري، لكن الأمور لم تسير وفق المُراد.

شكّل إعلان أبو بكر البغدادي عن تأسيس تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) نقطة تحول بالنسبة للمسلحين الشيشان في سوريا والقوقاز. في ذلك الوقت، تصاعدت التوترات والصراعات بين تنظيم الدولة الإسلامية والجماعات المسلّحة الأخرى، بما في ذلك جبهة النصرة (فرع القاعدة في سوريا).

فيما يتعلق بإيدولوجية المسلّحين الشيشان، يجدر القول إن الشيشانيين الذين بايعوا داعش، استناداً إلى أيديولوجية التنظيم، لديهم ميول عابرة للحدود الوطنية وقراءات أصولية سلفية (وهابية) للإسلام، فهم يعتقدون أنه يجب إلغاء الحدود الدولية وأن تحكم الشريعة جميع الأراضي.

ومع ذلك، ما يشترك فيه المقاتلون الشيشان في جبهة النصره مع الجماعات الجهادية القوقازية المستقلة الأخرى هو أن معظمهم لم يؤمنوا بتعزيز الشريعة أو إقامة دولة إسلامية، بل استخدموا مناهج وتفسيرات الإسلام الجهادي كأداة أو رد على سياسات روسيا تجاه القوقاز والجمهوريات الأخرى ذات الأغلبية المسلمة في البلاد.

بعد حلّ جبهة النصره وقطع العلاقات مع تنظيم القاعدة، وتأسيس جبهة تحرير الشام، انضم الشيشانيون المتمركزون في شمال سوريا إلى مجموعات قوقازية مستقلة. ولكن قلة منهم ظلوا موالين للقاعدة وانضموا إلى تنظيم حرّاس الدين (فرع القاعدة في سوريا) قبل حلّه.

روسيا في سوريا، وسياسة الردع ضد الجهاديين الأجانب

القلق الروسي إزاء الوجود الكبير للقوات السلفية والجهادية من جمهوريات الإتحاد السوفياتي السابقة دفع موسكو إلى الدخول بشكل مباشر في الحرب السورية. غالباً ما يعاني المسلمون في القوقاز والجمهوريات ذات الأغلبية المسلمة في روسيا من الفقر والتمييز والقمع من قبل الحكومات المحلية والمركزية، مما يشكل حافزاً كبيراً للمسلمين في هذه المناطق للانضمام إلى الجماعات الإسلامية المتطرفة.

وبطبيعة الحال، لا ينبغي لنا أن نتجاهل تجربة الحربين الشيشانية الأولى والثانية، التي تظل بمثابة جرح لم يلتئم بعد. من خلال إطلاق عملية عسكرية شاملة في سوريا، سعت موسكو إلى إنهاء نفوذ وقوة المسلحين الشيشان المتطرفين، بالإضافة إلى إضعاف المعارضة السورية وتعزيز موقف حكومة دمشق. لأن عودة هؤلاء الجهاديين إلى بلادهم قد تترتب عليها عواقب لا يمكن إصلاحها بالنسبة لموسكو.

لقد أدى إضعاف قوة تنظيم داعش في العراق وسوريا، الذي استضاف عدداً كبيراً من المقاتلين القوقازيين، إلى تغيير معادلات القوة إلى حدٍ ما لصالح الحكومة السورية، وتهميش المعارضة السورية وحلفائها من الجهاديين متعددي الجنسيات.

ومع ذلك، أدت تطورات رئيسية في الشرق الأوسط وأوروبا الشرقية إلى زيادة المخاوف الأمنية الروسية بشأن المقاتلين الشيشان. بدأ الهجوم العسكري الروسي على أوكرانيا في فبراير/شباط 2022 في ظل وقف إطلاق النار الهش بين المعارضة والنظام في سوريا.

أدى ذلك إلى نقل جزء كبير من المسلحين الشيشان المستقلين في سوريا، الذين كانوا تحت لواء "الجيش القوقازي"، إلى القوات الأوكرانية في الحرب ضد روسيا على الجبهات الشرقية من البلاد.

وكان التطور الثاني والأهم هو سقوط نظام الأسد، حليف موسكو، مما قد يجعل من سوريا قاعدة كبيرة للمقاتلين القوقازيين. وعلى عكس التوقعات، أبدت الحكومة الجديدة في دمشق استعدادها لإبقاء القنوات الدبلوماسية بين دمشق وموسكو مفتوحة، وفي المقابل اعترفت روسيا بالحكومة الجديدة. ورغم أن هذه العلاقات بينهما ترجع إلى الضرورة الملحة، فإن موسكو قادرة على خلق نوع من الردع السياسي ضد الجهاديين القوقازيين.

سوريا ما بعد الأسد فرصة تاريخية للجهاديين الدوليين

لقد أثار سقوط نظام الأسد، بعد أربع سنوات ونصف من وقف إطلاق النار الهش بين الحكومة السورية السابقة والمعارضة، مرة أخرى مسألة دور ووضع المتطرفين غير السوريين المقيمين في سوريا في وسائل الإعلام. إن المناخ السياسي الجديد السائد في سوريا يُمثّل منعطفاً تاريخياً حاسماً وفي ذات الوقت يُمثّل تحدياً وفرصة للجهاديين العابرين للحدود، وهو ما يعتمد إلى حد كبير على نهج الحكومة السورية الجديدة تجاه العناصر غير السورية التي كانت، حتى وقت قريب، حليفها في الحرب ضد نظام الأسد وحلفائه.

ينقسم بعض الجهاديين غير السوريين، سواء أعضاء هيئة تحرير الشام أو حتى المقاتلين المستقلين، إلى تيارين متميزين. وقد عانى بعض هؤلاء الجهاديين من نوع من الإحباط والهزيمة الإيديولوجية بعد أن أصدرت الحكومة السورية الجديدة عفواً عاماً ووعدت بإجراء انتخابات حرة، وتواصلت مع الدول الإقليمية والمنظمات الدولية.

كان هذا الطيف من المتطرفين غير السوريين يتوقع من الحكومة الجديدة أن تقيم إمارة إسلامية، على الأقل في إطار الحدود الدولية لسوريا. ومن ناحية أخرى، يتبنى هذا الطيف مواقف متشددة للغاية تجاه الأقليات الدينية وغير المسلمة، وهذه القضية تقلق الحكومة الناشئة في دمشق لأنها غير مستعدة حالياً لمواجهة الخلافات داخل المجموعة والضغط الدولي بسبب السياسات العدائية تجاه الأقليات.

إن المناخ السياسي الجديد في سوريا قد يشكّل فرصة فريدة للطيف المعتدل من الجهاديين عبر الحدود المُقَرَّبين من الحكومة السورية الجديدة، وبعضهم من الشيشان والأويغور. ولكي نفهم هذا الأمر بعمق، يتعين علينا العودة إلى نوفمبر/تشرين الثاني 2020، عندما أزلت الولايات المتحدة الحزب الإسلامي التركستاني، الذي يضم عناصراً من الأويغور الصينيين، من قائمتها للمنظمات الإرهابية.

يمكن تفسير خطوة إزالة الحزب الإسلامي التركستاني من القائمة السوداء لواشنطن باعتبارها أداة ضغط على الصين على المدى المتوسط أو الطويل. وبطبيعة الحال، يجب أن نضيف أن الولايات المتحدة، من خلال إزالة بعض الجماعات الجهادية من قائمة الإرهاب، تحاول تشجيعها على تبني مواقف أكثر اعتدالاً أو منع ظهور داعش من جديد وتكرار سيناريو سقوط الموصل. كان الغزو العسكري الروسي لأوكرانيا في فبراير/شباط 2022 عاملاً آخر أثّر على نهج الجهاديين غير السوريين. بعض الفصائل الجهادية التي كان هدفها القتال والانتقام من ظالمها اعتبرت سوريا محطة مؤقتة، ذهبت بعدها إلى أوكرانيا وشاركت في جبهات القتال ضد روسيا، وأغلب هذه القوات من أصول شيشانية.

بشكل عام، تعتبر الولايات المتحدة ودول حلف شمال الأطلسي أن هذه الفئة من الجهاديين غير السوريين أو العابرين للحدود أقل خطورةً من مجموعات مثل داعش، وتسعى إلى الإستثمار سياسياً فيها من خلال سياسات تحفيزية مثل إزالة أسمائهم من قائمة الجماعات الإرهابية، من أجل استخدامها تالياً ضد دول مثل الصين وروسيا.
